

## المرأة المثالية في القرآن الكريم دراسة مقارنة مع الشعر الجاهلي

كبرى روشنفكر\*

مجيد محمدي بايزيدي\*\*

### الملخص

إنَّ مهمّة الشعر بدايةً هي التعبير عن الجمال. فهناك عدد كثير من الأغراض الشعرية قديماً ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمضامين الجمالية بما فيها الوصف والغزل والمدح، كما أنّ الحكمة كثيراً ما تنحو نحو الجمال الروحي. والشعر الجاهلي لا يخلو غالباً من فن الغزل الذي يتجلّى فيه جمال المرأة حسياً و روحياً مما جعله ينقسم إلى قسمين: إباحي و عذري. و قد نرى أنّ وصف المرأة في القرآن الكريم إمتاز باهتمامه بالمعايير التي تختلف عن الرؤية الجاهلية حيث أضفى عليه أوصافاً ومعاني سامية ترتبط بالحياء والكرامة. وهذا المقال يقوم بدراسة هذه الأوصاف من خلال الموازنة بين تصاوير المرأة المثالية «الخور العين» في القرآن الكريم والشعر الجاهلي على أساس المنهج الوصفي — التحليلي. والنتائج تدلّ على أنّ هناك تشابهات بينهما في الوصف المادي، إلا أنّ الوصف القرآني يقتصر دائماً بما يدلّ على جمال معنوي قلّمَا نراه في الغزل الجاهلي. فليست التصاوير القرآنية تصاوير مادية بحتة مجرد ترغيب الناس في الدخول في الجنة، بل وراعها معاني سامية تضمن الحياة الاجتماعية والزوجية ودوامها في كل عصر وخاصة العصر الراهن.

\* أستاذة مساعدة بقسم اللغة العربية و آدابها بجامعة تربيت مدرس kroschanfekr@modares.ac.ir

\*\* طالب الدكتوراة في اللغة العربية و آدابها بجامعة تربيت مدرس majidmohammadi1358@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٢/٥/٢٢، تاريخ القبول: ١٣٩٢/٧/١

الكلمات الرئيسية: القرآن الكريم، الشعر الجاهلي، الحور العين، المرأة المثالية، فن الغزل.

## ١. المقدمة

سحر القرآن قلوب العرب منذ الوهلة الأولى سواء منهم في ذلك من شرح الله صدره للإسلام و من جعل على بصره منهم غشاوة. ولاشك في أن العرب كانوا يدركون بلاغة القرآن وتفوقه على الأسلوب السائد في العصر الجاهلي بين الشعراء. ففهموا أن هذا الكلام لا يشبه الشعر ورسوله ليس بشاعر فانبهر الجميع أمامه وأسلم كثير منهم.

استخدم القرآن للتعبير عما يقصد أسلوباً خاصاً يعتمد على التصوير. فوجود كم هائل من هذه التصاوير في القرآن الكريم جعلت بعض المفسرين يقول: «إنّ التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن والقاعدة الأولى فيه للبيان» (قطب، ٢٠٠٢: ٧١).

يختصّ قسم من هذه التصاوير بتوصيف المرأة الدنيوية وقسم آخر بالمرأة الأخروية التي تتمثل في «الحور العين» اللاتي اشتهرن بغاية الجمال بحيث جعل ذلك من الناس من يتكلم عن جمالهنّ دون كمالهنّ.

إنّ لغة التصوير تكون شائعة في الشعر أيضاً بحيث قلماً نجد شعراً يخلو من التصوير. فالشاعر يعبر عما ينتابه من الأحاسيس بلغة التصوير. ولو راجعنا الشعر الجاهلي — وبخاصة المعلقات — نجد الشعراء قد خصّصوا حيزاً واسعاً من أشعارهم لتوصيف المرأة الجاهلية في إطار تصاوير عدّة. فيواجهنا تصويران للمرأة، أحدهما قد احترم المرأة واحتفظ بكرامتها عن طريق الإجمال في التوصيف والآخر قد حطّ من شأنها لتفصيله في التوصيف. فهذا يدلّ على وجود البون الشاسع في طريقة التوصيف للمرأة.

يقوم هذا المقال بدراسة أوصاف المرأة المثالية من خلال الموازنة بين تصاوير المرأة المثالية «الحور العين» في القرآن الكريم و الشعر الجاهلي، لكي نرى كيف استطاع القرآن أن يصف الحور العين دون أن يسلك طريق الشعراء الجاهليين في هذه التصاوير ودون أن تُؤدّي هذه التصاوير إلى المساس بها خلافاً لما جاء في أكثر أشعار الشعراء الجاهليين. فالمقال يحاول من خلال هذه المقارنة الإجابة عن الأسئلة التالية:

ما هي وجوه التشابه والاختلاف بين التصاوير القرآنية والشعر الجاهلي؟ أيّ أسلوب اختار القرآن في هذه التصاوير وأية صفات أشار إليها وركّز عليها ولماذا كرّر بعض هذه الصفات؟ هل هذا التأكيد والتكرار جاء مجرد تحريض الناس للدخول في الجنة أو بإمكاننا أن نجد وراء هذه الألفاظ — لو أمعنا النظر — معاني سامية تضمن الحياة الزوجية واستمرارها في العصر الحديث؟ أو كيف يمكن إثبات كرامة المرأة ومثلتها من خلال هذه التصاوير؟

## ٢. خلفية البحث

لو ألقينا النظر على رفوف المكتبات وتصفحنا المجلات وبجئنا في الشبكات عن موضوع «المرأة» نجد كمّاً هائلاً من الكتب والمقالات — لا تعدّ ولا تحصى — حول «المرأة في الاسلام» فضلاً عن المؤتمرات الكثيرة التي قد أقيمت وتُقام تحت عنوان «المرأة وما يتعلق بها» أما بالنسبة إلى ما يرتبط ببحثنا نجد بعض الكتب التي قد درست موضوع المرأة في الشعر الجاهلي منها: «عالم المرأة في الشعر الجاهلي» لـ «حسني عبد الجليل يوسف» و «تطور الغزل بين الجاهلية و الاسلام» لـ «فيصل شكري» و «الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه» لـ «يحيى الجبوري» قد أكّد الدارسون في هذه الكتب على كثرة التصاوير الحسية التي تعدّ سمة بارزة لأشعار هذا العصر مشيرين إلى إفراط بعض الشعراء الجاهليين في استخدام هذه التصاوير بحيث نجد في أشعارهم ما يستحيي الإنسان من ذكره.

وهناك كتاب لـ «كاظم الحجاج» يسمّي «المرأة و الجنس بين الأساطير و الاديان» الذي قد درس موضوع المرأة في الإسلام والنصرانية واليهود والأساطير. ويتخلخل هذا الكتاب ما يرتبط بمسألة الحور العين كنساء الوعد السماوي اللاتي يعتبرن تعويضاً عما افتقده المسلم في حياته الدنيوية. ولكنّه يركّز بحثه حول الوصف القرآني للجنة مشيراً إلى أنّ بعض المورخين والشارحين والنسّاخ بعد عصر النبي (ص) قد أسهبوا في الوصف والتحليل خلافاً لما جاء في القرآن.

وكتاب آخر عنوانه مطالع البدور مع منازل السرور لـ «ابو مريم مجدي بن فتحي

السيد» وهو كتيب صغير يتطرق إلى صفات الجنة وأهلها ويخصّص فصلاً لدراسة صفات الحور العين من خلال ما جاء في القرآن الكريم والروايات.

لكننا لم نجد كتاباً قد قام بمقارنة هذه التصاوير فيبدو موضوع المقارنة بين تصاوير الحور العين في القرآن والمرأة في الشعر الجاهلي جديداً يجدر الالتفات به لكي ندرك أسلوب القرآن في بيان ما يتطلب الحياء في التعبير عنه. فهذا حقل قلماً تناوله الدارسون لإثبات مقام المرأة وكرامة شأنها.

فنحن في البداية سنقوم بدراسة أسلوب القرآن في توصيف رجال هذه الدنيا ونساءها ثم نتطرق إلى تصاوير الحور العين في القرآن وتصوير المرأة في الشعر الجاهلي، ثم سنقوم بمقارنة هذه التصاوير وبيان وجوه التشابه والاختلاف.

### ٣. وصف رجال الدنيا و نساءها في القرآن

قبل أن نتطرق إلى موضوعنا الرئيس يقتضي البحث أن ندرس صفات رجال الدنيا و نساءها في القرآن — إذ إن هذا القسم يتطلب دراسة مستقلة — لكننا سنلقي إليها نظرة عاجلة لكي نتضح لنا ملامح أسلوبه في تصويرهم.

#### ١.٣ وصف الرجال

ورد ذكر كثير من الرجال في القرآن الكريم خاصة الأنبياء و ذلك بهدف العلم بأخبارهم والتصديق بهم وأخذ العبرة مما جرى في حياتهم من أحداث.

والمتتبع في هذه الآيات يلاحظ أن الله يذكر من صفاتهم ما يلائم فحوى الآيات وبما تقتضي أحداث القصة. وبالنسبة للأنبياء نجد أن القرآن أكثر من ذكر صفاتهم الروحية التي تدلّ على كمالهم لأنّه يوجّه هذه الصفات إلينا كدليل على مكانتهم، فيؤكّد القرآن على صفة العبودية و الإيمان، كما نرى في آيات سورة الصافات قوله تعالى «إنّه من عبادنا المؤمنين» (الصافات: ١١١-١٣٢) مرّتين يقصد إبراهيم و إل ياسين، وكذلك قوله «إنهما من عبادنا المؤمنين» (الصافات: ١٢٢) يعني موسى وهارون.

وعندما يصف إسماعيل يقول: «واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا» (مریم: ٥٤)، وفي توصيف إدريس يقول: «كان صديقاً نبياً» (مریم: ٥٥).  
عندما جاء رسول من الله لكي يُشتر مریم بعیسی: «قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً» (مریم: ١٩).

كما نرى أن الله يُشتر زكريا بيحيى بقوله: «مصدقاً بكلمة من الله سيّداً وحصوراً ونبياً من الصالحين» (آل عمران: ٣٩).

فقد أكّدت الآيات السابقة على صفات الكمال لكي يذكّرنا — عز وجل — بأهميتها في الإنسان خاصة عندما نطلب من الله أن يرزقنا ولداً. فتارة تقتضى القصة أن تشير إلى علمهم وحكمتهم دون بقية الصفات:

«لقد آتينا داود وسليمان علماً» (النمل: ١٥) «ولقد آتينا لقمان الحكمة» (لقمان: ١٢) وفي سورة يوسف «آتينه حكماً وعلماً» (يوسف: ٢٢).

وتارة أخرى تجمع من الصفات ما تدل على الكمال الروحي والقدرة الجسمية: «واذكر عبدنا داوود ذا الأيدي إنه أواب» (ص: ١٧)؛ «واذكر عبدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار» (ص: ٤٥).

وفي قصة موسى نرى أن قدرة موسى وقوته تجعل بنت شعيب ألا تنسى حفظه للأمانة: «قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين» (القصص: ٢٦) وهاتان الصفتان نراهما في قصة عرش بلقيس عندما يقول عفريت من الجن لسليمان: «أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين» (النمل: ٣٩). فنلاحظ كيف أخبرنا الله عن شروط توظيف الانسان في الأمور عن طريق هذه القصص وكيف تشير هذه الآيات إلى ما يتطلبه الموكل بأمر ما من الصفات وهما التعهد «الأمين» والقدرة «القوي».

وقصة طالوت (البقرة: ٢٤٧) تبين لنا شروط القيادة. فذكر الله تعالى صفات الكمال مرة والصفات الجسمانية مرة أخرى ومرة يجمع بينهما على حسب ما يقتضيه الأسلوب والقصة. ويبين لنا هذه الصفات من خلال كلمة أو كلمتين دون اللجوء إلى عالم التشبيهات والإستعارات.

تعدّ قصة يوسف أحسن القصص حسب التعبير القرآني؛ في البداية يظنّ الإنسان أنّ الله قد خصّص بعض الآيات لوصف جمال يوسف فحسب. لأنّ جماله أعجب «التي هو في بيتها» (يوسف: ٢٣) فحدث ما حدث. لكن عند قراءة هذه القصة يلفت نظرنا شيء عجيب وهو أنّها لم تستخدم كلمة «الجمال أو الجميل» ليوسف بصورة صريحة فلا تذكر الآيات: «آتيناه جمالاً» كما تقول: «آتيناه حكماً وعلماً» (يوسف: ٢٢)؛ لأنّ المهمّ هو علم يوسف وحكمته. لقد كان يوسف يريد في المستقبل أن يدبّر أمور البلاد: «قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ» (يوسف: ٥٥) فعبر عن غاية جمال يوسف عن طريق قصة نساء مصر: «فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ» (يوسف: ٣١).

نستخلص مما سبق أنّ المنهج القرآني يميل أكثر إلى بيان الصفات الروحية ويخلو من التشبيهات والإستعارات.

### ٢.٣ وصف النساء

يلتزم القرآن ككتاب ديني - أخلاقي في وصفه للنساء، فنرى في البداية أنّه لا يصرّح بأسماءهنّ إلاّ في موضع واحد وهو قصة مريم، وهي قصة تختلف عن القصص الأخرى، وتشبه قصة ولادتها لعيسى إلى حد كبير قصة خلقة آدم من غير أب. ولكي يتمّ تبرئة مريم وإثبات أنّها ماجأت «شيئاً فرياً»، يؤكّد على ما يُبين لنا عفتها، ويكتفي عن ذلك بقوله: «التي أحصنت فرجها» (التحريم: ١٢؛ الانبياء: ٩١).

وفي خطاب من الله إلى زوجات الرسول (ص): «عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا» (التحريم: ٥) لا نجد فيه صفة تدلّ على جمال المرأة، فقد ذكر إسلامهنّ وإيمانهنّ وعبادتهنّ في البداية وفي نهاية الخطاب يقدم الثيبات على الأبكار.

ختاماً لهذا القسم نشير إلى آية تُبين لنا كيفية مشية المرأة ونأتي بأبيات من معلقة

الأعشى لكي ندرك مدى اختلاف المعنى فيهما: وهذا القرآن يقول في قصة بنت شعيب مع موسى: «تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء» (القصص: ٢٥).

وذلك الأعشى ينشد:

غراء فرعاء مصقول عوارضها      تمشي المونينا كما تمشي الوجي الوجيل  
كأن مشيتها من بيت جارته      مر السحابة لا ريث ولا عجل

(ديوان الأعشى، بلاتا: ١٤٩)

فقد ركز القرآن على حياء بنت شعيب عند مشيتها. بينما يشير الأعشى إلى تبخر محبوبته «هريرة» وشدة ميلانها عن طريق التشبيهات. فهذا إن دل على شئ فهو يدل على اختلاف الثقافات فستان بين هذا وذاك.

#### ٤. صفات المرأة المثالية «الخور العين» في القرآن الكريم

يريد القرآن أن يُصوّر لنا الجنة بصفاتها «وفيها ما تشتهيه الأنفس» (الزخرف: ٧١) فنرى أنه يُفصّل القول في توصيف الأثمار الرقاقة الصافية والعيون الجارية ومختلف أصناف الفواكة والثمار ذات القطوف الدانية والأشجار وأنواع أشربة وألبسة أهل الجنة وأرائكهم و مجالسهم.

«لعلّ هذه الصورة— للعربي ساكن الصحراء أعلى ما يمكن أن يطمح إليه في حياته وأجمل ما يمكن أن يطوف بخياله. ذلك أنّ العربي عانى حياة قاسية تشتدّ فيها الحرارة في فصل الصيف حتى تكاد تحترق الأجساد وتشتدّ فيها البرودة في الشتاء حتى تكاد تتجمّد الأعصاب... يُضاف إلى ذلك رياح السموم التي تفتح الوجوه وتؤذي العيون ورمال ساخنة تلهب الأقدام وتحرق الأكباد ما يتبع ذلك من الجفاف والعطش وشظف العيش. فتزل القرآن فإذا به يخاطب العربي لتحرك آياته نفسه وتستجيش مشاعره» (عود خليل، ١٩٨٥: ٤٠١) فأنت ترى أن في الجنة— بتفاصيلها الإمتاعية— تعويضاً واضحاً عما هو مفقود في الحياة الصحراوية القاحلة (الحجاج، ٢٠٠٢: ١٤٢).

من خلال توصيف الجنة وما فيها نرى أن بعض الآيات القرآنية القصيرة تتطرق إلى توصيف المرأة، وتتخذ أسلوباً يختلف اختلافاً كبيراً — أو قلّ كاملاً — مع الأسلوب الذي شاهدناه في توصيف نساء الدنيا، وهذا الاختلاف يبدو طبيعياً؛ لأنّ الموقف هنا يتطلّب أسلوباً يحرّض الناس على الطاعة للدخول في الجنة. فلا يكتفي القرآن بتوصيف صفات الكمال بل يصوّر لنا جمالهنّ أيضاً دون أن يمسّ الأخلاق وكرامة المرأة. لأنّه لا بدّ من توصيف ما لا يرى لكي يفهم الناس ويدركون ما ينتظرهم من الثواب الجزيل فيصف لنا الحور العين بحيث يُدهش الإنسان جمالها وكمالها. فهو يصفها بعدة صفات و تسميات بما فيها:

#### ١.٤ الحور العين

أولّ صفة تطلق على نساء الجنة هي صفة «الحور العين» وهذه الصفة أكثر تكراراً في القرآن بالمقارنة مع بقية الصفات التي اشتهرن بها. فنرى أن القرآن استخدم هاتين الصفتين معاً في ثلاثة مواضع: «وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ» (الطور: ٢٠)، «حُورٍ عِينٍ» (الواقعة: ٢٢)، «وكذلك زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ» (الدخان: ٥٤) و استخدم صفة «عين» منفردة في آية: «وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ» (الصفات: ٤٨) في موضع واحد وصفة «حور» في موضع واحد «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ» (الرحمن: ٧٢).

#### ١.١.٤ الحور

الحور لغةً «جمع حوراء (وهي لا تختص بالنساء دون الرجال) من مادة الحور أن تسودّ العين كلها مثل أعين الظباء والبقر وليس في بني آدم حور، وإنما قيل للنساء الحور العين لأنهن يُشبهن بالظباء والبقر... وهذا إنّما حكاة أبو عبيد في البرج غير أنّه لم يقل إنّما يكون في الظباء والبقر» (ابن منظور، بلاتا: ٤ / ٢١١) وهذا ما نجدّه في أشعار الجاهليين:

وإذ هي حوراء المدامع، طفلةً كمثل مهابة حرة أم فرقد

(عبيد بن أبرص، بلاتا: ٦٥)



كبرى روشنفكر و مجيد محمدي بايزيدي ٧٣

و «الأعراب تُسمّى نساء الأمصار حوريات لبياضهنّ وتباعدهنّ عن قشف الأعراب بنظافتهنّ» (ابن منظور، بلاتا: ٤ / ٢٢٠) فلا يمكن تصوّر الاحساس الذي انتاب الأعراب لما سمعوا أنّ في الجنة حور عين جزاء لمن كان من المتقين.

فإذا اعتبرنا الحور من مادة «الحور» تدلّ على صفة حسية، إلّا أنّ بعض المفسّرين يعتبرها من مادة «الحيرة» لأنّ جمالها يُدهش العقول بحيث لا يستطيع أحد أن ينظر إلى جمالها في هذا العالم (الرازي، ١٣٧٨: ٧ / ١٢١٩).

لكنّ بعض المفسرين يوسّع المعنى الذي قصده أبو الفتوح الرازي مضيّفاً: «أنّ العقول تحار فيها بسبب جمالها وكمال عقلها فما أعجب هذا المخلوق وألطفه (دستغيب، ١٣٦٠: ١٨٠). وعلى أساس هذا التعبير يتّسع معنى الحور فيتجاوز المعنى الحسي فهنّ قد جمعن الجمال والكمال معاً.

مما يجدر الإشارة إليه في هذا المجال هو أنّ نساء الدنيا حسب ما ورد عن الرسول (ص) أفضل من الحور العين فضل الظهارة على البطانة بصلاتهنّ وصيامهنّ وعبادتهنّ، ألبس الله وجوهنّ النور وأجسادهنّ الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلبي مجامرهنّ الدرّ وأمشاطهنّ الذهب (السيوطي، ١٩٩٠: ٢١١-٢١٢).

ففرى أنّ الرسول بيّن رفعة مقام نساء الدنيا بسبب كمالهنّ في العبادة ثم يذكر ما يأتيهنّ من النعم في الجنة وأنهنّ أعلى منزلة من الحور العين برغم ما يتمتّع به من مكانة عليا.

#### ٢.١.٤ العين

العين: جمع عينا: عظم سواد العين وسعتها وهي الواسعة العين (ابن منظور، ١٤٠٥: ١٣ / ٣٠٢).

ويسمّى الشاعر الجاهلي بقر الوحش العين لسعة عينها:

بما العينُ والآرامُ يمشين خلفاً وأطلاؤها ينهضن من كل بحثم

(زهير بن أبي سلمى، ١٩٦٤: ٧٥)

وكان يشبّه عين المحبوبة بها:

صَادَتِ الْقَلْبَ بَعِينِ جُوذِرِ      وَبَنَحِرَ فَوْقَهُ الْمَرْجَانُ جَمِّ  
وَيَفْرَعَيْنِ عَلَى أَمْتَانِهَا      مُسَكَّرٌ كَعَنَاقِيدِ السَّحْمِ

(طرفة بن عبد، ١٩٩٧: ١٤٥)

بما أنّ للعين جمالاً خاصاً بالمقارنة إلى سائر الاعضاء وأنّ أكثر جمال الإنسان يتجلى في عينيه؛ فقد أكد الله على ذلك بطريقة خاصة دون بقية الأعضاء (جمع من الكتاب، ١٣٧٧: ٢١٥ / ٢٣).

لذا نرى أنّ الشعراء يهتمون دائماً بالعين ويصفوها ويشبّوها بأجمل ما بادر إلى أذهانهم، كما أنّهم يشكون من سهامها عندما تأسرهم وتذهب بعقولهم وتمتلك قلوبهم.

#### ٢.٤ قاصرات الطرف

«قاصرات الطرف» هي من الصفات التي تكررت ثلاث مرات في القرآن الكريم: «ففيهنّ قاصرات الطرف» (الرحمن: ٥٦)، «عندهم قاصرات الطرف عين» (الصفات: ٤٨)، «عندهم قاصرات الطرف» (ص: ٥٢).  
والقصر: الحبس (ابن منظور، ١٤٠٥: ٥ / ٩٩) وقاصرات الطرف صفة قائمة مقام الموصوف والتقدير عندهم أزواج قاصرات الطرف (الطبائبي، ١٣٧٢: ٢٣ / ٢٣١).  
فقد أورد المفسرون معنيين لقصور الطرف في كتبهم التفسيرية: أحدهما روحي و ثانيهما حسّي.

ففي الأوّل: «المراد بقصور الطرف إكتفاؤهن بأزواجهن فلا يردن غيرهم» (الطبائبي، ١٣٧٢: ١٩ / ١٣٤). «فهنّ عفيفات الشعور والنظر لا تمتدّ أبصارهن إلى غير أصحابهن» (سيدقطب، ١٩٨٠: ٦ / ٣٤٥٨). فلسن بمتبرّجات ولا متطلّعات؛ فقصور الطرف يدلّ على العفة.

وفي القرآن تعبير آخر حول هذا الموضوع، حيث استخدم غضّ البصر بقوله: «قلّ للمؤمنين يعضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما

يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...» (النور: ٣٠-٣١).

أما المعنى الثاني: فهو كناية عن كونهن ذوات غنج ودلال (الطباطبائي، ١٣٧٢: ٢٣ / ٢٣١) وهذا ما أشار إليه الطبرسي: «وقيل معناه لايفتحن أعينهن دلالة وغنجاً» (الطبرسي، ١٩٨٦: ٧-٨ / ٥٧٠). وهذا يدل على أن قصور الطرف يعني انكسار الطرف.

لقد استخدم الشاعر الجاهلي امرؤ القيس هذه الصفة في شعره عندما يصف امرأة برقة الجلد ولطافته لما تمتع به وأنها في اللطافة والبرقة بحيث لو دب نمل من فوق ثوبها لأثر في جسدها فكلم لهذه المرأة من دلال وغنج.

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحَوَّلٌ  
مِنَ الدَّرِّ فَوْقَ الأَتْبِ مِنْهَا لَأَثَرَ  
(امرؤ القيس، ٢٠٠٤: ٩٧)

#### ٣.٤ أتراب

من إحدى صفات الحور العين التي تكررت ثلاث مرّات أيضاً هي صفة الأتراب. وقد استعملت مقترنة بصفات أخرى: «وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً» (النبأ: ٣٣)، «عُرْباً أَتْرَاباً» (الواقعة: ٣٧)، «وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ» (ص: ٥٢).

«الأتراب: جمع الترب: اللدة والسنّ يقال: هذه ترب هذه أي لدتها وقيل ترب الرجل الذي وُلد معه، وأكثر ما يكون ذلك في المؤنث؛ يُقال هي تربها وهما تربان والجمع أتراب وقوله: «عرباً أتراباً» فسره الثعلب فقال الأتراب هنا الأمثال وهو حسن إذ ليست هناك ولادة» (ابن منظور، ١٤٠٥: ١ / ٢٣١) وهو مأخوذ من لعب الصبي بالتراب أي هم كالصبيان الذين هم على سنّ واحد (الطبرسي، ١٩٨٦: ٩-١٠ / ٣٢٩) فهنّ متساويات في الحسن ومقدار الشباب لا يكون لواحدة على صاحبها فضل في ذلك (المصدر نفسه: ٧-٨ / ٦٢٠).

على أساس هذا يبدو أن الزوجين قد يتماثلان سنّاً فبالتالي فكراً وشعوراً. وهذا ما يجب علينا أن نتنبه إليه في مجتمعا المعاصر لكي لايبُدّد شمل الأسرة. فكأن القرآن يريد أن

يزودنا بهذه الصفات ليلفت انتباهنا إلى معايير إختيار الزوج، فتقارب السنّ مهمّ لأنه قد يؤدي إلى تقارب الفكرة وعدم تقارب الفكرة يؤدي إلى اختلافات تكدر صفو الحياة. وهذا التقارب يُسبب استحكام الحياة الزوجية وتعميقها؛ إذ يقلل من الخلافات الزوجية ويسود تلك العلاقة تفاهم تام.

#### ٤.٤ صوهنّ وسترهنّ

هناك عدة آيات تدلّ على صون الحور العين وسترهن، منها: «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ» (الرحمن: ٧)، «وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ» (الواقعة: ٢٢-٢٣)، «كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَّكْنُونٌ» (الصفات: ٤٩).

#### ١.٤.٤ حور مقصورات في الخيام

القصر كما أشرنا الحبس؛ فالمعنى: «محبوسات في خيام من الدرّ مخدّرات على أزواجهنّ في الخبات، وامرأة مقصورة: مخدّرة» (ابن منظور، ١٤٠٥: ٥/٩٩) فإنّهنّ مصونات و «لسن بطوافات في الطرق» (الغرناطي، ١٩٩٠: ١٩٩) ولا نصيب لغير أزواجهنّ فيهنّ (الطباطبائي، ١٣٧٢: ١١/١٢٥١) وحبس النساء في أماكنهنّ لا يعيب عليهنّ «لأنّ النساء تمدح بذلك إذ ملازمتهنّ البيوت تدلّ على صيانتهنّ» (الغرناطي، ١٩٩٠: ١٩٩) و «تلقى الخيام ظلّ البداوة فهو نعيمٌ بدويّ أو يمثّل مطالب أهل البداوة» (سيد قطب، ١٩٨٠: ٦/٣٤٥٨) مع أنّ خيام الجنة تختلف تماماً عن خيام الدنيا لأنّ خيامها «درّ مجوّف» (السيوطي، ١٩٩٠: ٢١٠).

وكلمة مقصورات تدلّ على معنى آخر؛ وهو أنّهنّ مخدومات إذ يقوم بأموهنّ الآخرون، وهذا أشرف لهنّ؛ لأنّ الحرائر كان هكذا دأهنّ بخلاف الإماء.

#### ٢.٤.٤ كأمثال اللؤلؤ المكنون

هو اللؤلؤ المصون الذي لم يتعرض للمس والنظر، فلم تنقبه يد ولم تحدشه عين وفي هذا كناية عن معان حسية ونفسية لطيفة في هؤلاء الحور الواسعات العين (قطب، ١٩٨٠: ٦/٣٤٦٤).

فالتعبير يجمع بين المعاني الحسيّة و الروحية في هذا التشبيه الذي يدلّ على جمالهنّ وعفتهنّ بحيث لم يطمئنّ انسٌ ولا جانٌ. فهنّ كأمثال الدرّ يخرج من صدّفه وكنّه لم يغيّره الزمان واختلاف أحوال الإستعمال فصفاؤهنّ وتلالؤهنّ كصفاء الدرّ و تلالؤه (البغدادي، ١٩٦٨: ٣٣٤).

من جهة أخرى نرى أنّ القرآن يستخدم هذا التشبيه لبيان جمال الغلمان و صفاقم و صباحة و جوههم. فمرّة: «وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ» (الطور: ٢٤) و مرّة أخرى: «وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا» (الإنسان: ١٩).

وقد «قيل: يارسول الله! الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدم؟ فقال: والذي نفسي بيده إنّ فضل المخدم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكوكب» (الطبرسي، ١٩٨٦: ٩-١٠/٢١٢).

#### ٣.٤.٤ كأنهنّ بيضٌ مكنون

نرى أنّ القرآن شبّههنّ بالبيض ثمّ وصّفهنّ بالمكنون. و «النساء يُشَبِّهنّ بالبيض من ثلاثة أوجه: أحدها بالصحة والسلامة عن الطمث ومنه قول الفرزدق:

خرجنّ إلىّ لم يطمئنّ قبلي  
وهنّ أصحُّ من بيض النعام

و الثاني: في الصيانة والستر، لأن الطائر يصون بيضه ويحضنه. والثالث: في صفاء اللون ونقاؤه. لأنّ البيض يكون صافي اللون ونقيّة إذا كان تحت الطائر» (الزوزني، بلاتا: ٤٧).

ونرى أنّ امرأ القيس شبّه المرأة التي تتمتع بها بالبيض، ولكنّه أدرج هذا التشبيه في بيت لا يتضمن الحياء.

وبيضة حدرٍ لأيرامٍ حباؤها  
تمتعتُ من لهُوٍ بها غير مُعجل

(إمرؤ القيس، ٢٠٠٤: ٣٥)

وربّما شبّهت النساء بيض النعام وأريد أنّهنّ بيضٌ تشوب ألوانهنّ صفرة يسيرة وهو

عند العرب أحسن ألوان البياض (البغدادي، ١٩٦٨: ١٠٣). وهذا ما قصده امرؤ القيس في وصف معشوقته:

كَبِكرِ المِقاناةِ البِياضِ بِصُفرةٍ      غَذاه غَيرُ المِماءِ غَيرَ مَحَلَّلِ  
(إمرؤ القيس، ٢٠٠٤: ٤١)

فنى أن هذا التشبيه كان في تناول أيدي الشعراء، فاستعملوه في أشعارهم كما نشاهد في أشعار الأعشى الذي يهتم بالتوصيف الحسي في الأبيات التالية:

وقد أراها بين أتراكها      في الحيّ ذي البهجة والسامر  
إذا هي مثلُ الغصنِ مَيْالةٍ      تروق ذي الحجى الزائر  
كُدُمِيَّةٍ صُورٍ محرأبها      بمذهب في مَرمرٍ مائِرِ  
أو بيضةٍ في الدعسِ مكنونةٍ      أو دُرّةٍ سيقت إلى تاجر  
لوأسندت ميتاً إلى نحرها      عاش ولم يُنقل إلى قابر

(الأعشى، بلاتا: ٩٢-٩٣)

إن غلبة التوصيف الحسي واضحة في هذه الأبيات فلا يقصد الأعشى أن يصف هذه المرأة بالعفة إذ هو قرن البيضة بصفة «مكنونة» بل قصد صفاء لوها و نقائها كما يتضح ذلك من خلال الأبيات.

#### ٥.٤ أبكار

لقد تكررت هذه الصفة بصور مختلفة في القرآن الكريم. فمرة نرى أن القرآن يستعمل هذا اللفظ بعينه ويقول: «فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً» (الواقعة: ٣٦)، ومرة يستخدم ما يعادل معناها: «فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ» (الرحمن: ٥٦)، «لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ» (الرحمن: ٧٤) وهذا التكرار يدلنا على أهمية ذلك وهو ما يدل على العفة. أما بالنسبة إلى «فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً» أي «عذارى وقيل لاياتيهن أزواجهن إلا وجدوهن أبكاراً» (الطبرسي، ١٩٨٦: ٩-١٠ / ٣٣٠).

أما بالنسبة إلى الصفة الثانية فهي تدلّ على أنهن مصونات لم يمسهنّ إِنْسٌ ولاجانٌّ

(سيد قطب، ١٩٨٠: ٦ / ٣٤٥٨). وفي هذه الآية دليلٌ على أن للجنّ ثواباً وأزواجاً من الحور فالإنسيات للإنس والجنيات للجنّ (الزمخشري، بلاتا: ٤ / ٤٩).

فكيف يمكن أن تكون الحور أبقاراً وأن تبقين أبقاراً؟ لكن ذلك ليس مستحيلاً على المولي — عزّ وجلّ — وقد قال في الآية التي قبلها بأسلوب توكيدي: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً» (الواقعة: ٣٥) فإن الله قد أوجدهنّ وأحدثهنّ ورباهنّ إحدائاً وتربية خاصة ففيه تلويح إلى أنّهن لا يختلفنّ بالهجنّ بالشباب والشيب وصحة المنظر وخلافها (الطباطبائي، ١٣٧٢: ١٩ / ١٤٠). فلا ينتقلن من حال إلى حال ولا يتبدّل جمالهنّ كما يكون في الدنيا.

#### ٦.٤ عُرْبٌ

وهذه صفة أخرى للحور العين «عُرْباً أُنْرَاباً» (الواقعة: ٣٧) والعُرْب جمع عَرُوب: وهي المتحبيبة إلى زوجها، الغنجه (الفراء، بلاتا: ٣ / ١٢٥) فهذه الكلمة تُفيد معنيين: الأول: هنّ عواشق لازواجهنّ وبالتالي ازواجهنّ هنّ عاشقون. فهذه المسألة تؤدي إلى استحكام العلاقة بين الزوجين واستمرارها. ولو لم تكن المحبة بين الزوجين فإن الحياة ستفقد معناها. وكم يشكو الأعشى من الحبّ الأحادي الجانب:

عَلَّقْتُهَا عَرَضاً، وَعَلَّقْتُ رَجُلًا      غَيْرِي وَعَلَّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ  
وَعَلَّقْتَهُ فَتَاةً مَا يَؤُولُهَا      مِنْ أَهْلِهَا مَيِّتٌ يَهْدِي بِهَا وَهْلُ  
وَعَلَّقْتَنِي أُخْرَى مَا تُؤَلِّمُنِي      فَاجْتَمَعَ الْحَبُّ حُبًّا كُؤُلَهُ تَبْلُ

(الأعشى، بلاتا: ١٥٠)

أمّا الثاني: فمعناه أنّهنّ متعجّجات وهذا يدلّ على دلالتهنّ. وكانت العرب تقول للمرأة إذا كانت حسنة التبعّل: إنها العربية (السيوطي، ١٩٩٠: ٢٢٥).

وقد استخدم الشعراء هذه الكلمة في أشعارهم مقترنة بالأوصاف الحسية. فيقول لبيد:

فِي الْحُدُوجِ عَرُوبٌ غَيْرُ فَاحِشَةٍ      رِيًّا الرُّوَادِفِ يَعِشِي دَوْلَهَا الْبَصْرُ

(لبيد بن أبي ربيعة، ١٩٦٢: ٦١)

#### ٧.٤ خيرات حسان

نجد في سورة الرحمن التي جاءت فيها أكثر صفات الحور العين بأنهنّ قد وصفن بالخيرات الحسان (الرحمن: ٧٠) أمّا بالنسبة إلى خيرات: «مفردتها خيرة بالتخفيف والتشديد. منهم من فرّق بين معنى الخيرة والخيرة فقال: إمراة خيرة (بالتشديد) فاضلة في صلاحها وامراة خيرة (بالتخفيف) في جمالها وميسمها واحتجّ بالآية. قال أبو منصور: لا فرق بين الخيرة والخيرة عند أهل اللغة» (ابن منظور، ١٤٠٥: ١٤٠٥/٤).

أمّا بالنسبة إلى الحسان فهي تتعلق بالمرأة وهي «جمع الحسنة: قالوا إمراة حسنة ولم يقولوا رجل أحسن كما قالوا غلام أمرد ولم يقولوا جارية مرداء فهو تذكير من غير تأنيث» (المصدر نفسه: ١١٥/١٣).

اتفق المفسرون على أنّ هذه الآية جمعت بين الصفات الحسيّة والروحيّة. ففسّروا هذه الآية بأنهنّ خيرات الأخلاق وحسان الوجوه. لأنّ أكثر ما يستعمل الخيرات في المعاني كما أنّ أكثر استعمال الحسن في الصور (الطباطبائي، ١٣٧٢: ١٩/١٢٥) فإذا لم نعتبر تقديم الخيرات على الحسان لرعاية الفاصلة في الآيات فتقديمها يدلّنا على أهميتها ورجحانها على الوجوه البيضاء.

ونرى أنّ الشاعر الجاهلي — عمرو بن كلثوم — يكتفي بذكر الصفات الحسية أو بتقديمها على غيرها من الصفات المعنوية في مجلس عمرو بن هند في باب المفاخرة:

على آثارنا ييضُ حسانُ      نُحاذِرُ أن تُقسَمَ أو تهونا  
إذا ما رُحِنَ يمشينَ الهويني      كما اضطربت متون الشاريننا

(عمرو بن كلثوم، ١٩٩٦: ٦٨)

#### ٨.٤ فرُش مرفوعة

وهي من الصفات التي اختلف المفسرون فيها. فنجد أنّ بعض المفسرين قد فسّرها بأنّها «بُسُطٌ عالية» (السيوطي، ١٩٩٠: ٦/٢٢٤) وعلى هذا المعنى لا ترتبط بصفات الحور



العين. ولكن بعضهم قد أشاروا إلى أن السياق والآية التي جاءت بعدها: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً» (الواقعة: ٣٥) يقتضيان أن ترتبط هذه الآية بالحوار العين.

وبعضهم يستدلون بحديثٍ عن النبي (ص): «الولد للفراش وللعاهر الحجر» (الطبرسي، ١٩٨٦: ٩-١٠ / ٣٣٠). فالفرش جمع فراش والمراد منها المرأة لأن المرأة يكتسى عنها بالفراش (الزنجشيري، بلاتا: ٥٤ / ٤) ونظير هذه الكناية ما نجده في الآية التالية ولكن على سبيل التشبيه: «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ» (البقرة: ١٨٧).

أما من حيث المعنى فهؤلاء النساء مرتفعات القدر في عقولهن وحسنهن وكمالهن (الطبرسي، ١٩٨٦: ٩-١٠ / ٣٣٠). يقول سيد قطب: «المرفوعة: هي هنا لاموضونة ولا ناعمة وبحسبها أما مرفوعة: وللرفع في الحُسن معنيان: مادي ومعنوي يستدعي أحدهما الآخر ويلتقيان عند الإرتفاع في المكان والطهارة عن الدنس. فالمرفوع عن الأرض أبعده عن نجسها والمرفوع في المعنى أبعده عن دنسها. ولهذا ينتقل السياق من الفرش المرفوعة إلى ذكر من فيها من الأزواج» (سيد قطب، ١٩٨٠: ٦ / ٣٤٦٤).

#### ٩.٤ كأنهنّ الياقوت والمرجان

وهذا تشبيهٌ يبدو حسياً. فالياقوت والمرجان من الأشياء التي ينبهر الإنسان بجمال منظرها فشبهه بما فيما يحسن التشبيه به. فالياقوت في إملاسه وشفوفه والمرجان في إملاسه وجمال منظره (الغرناطي، ١٩٩٠: ١٩٨).

فأما الياقوت فأنته حجرٌ لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيتته من ورائه (السيوطي، ١٩٩٠: ٢١٠). فهنّ ناضرات لامعات.

أما المرجان فقال قوم: إنّ المرجان صغار اللؤلؤ. ولا يصحّ ما قالوا: لأنّ المرجان جنسٌ آخر وهو أحمر اللون ينشأ في قرار البحر متشجراً. قال الله تعالى «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ» (الرحمن: ٢٢) وقد كان كما ذكروا ليس في هذا التكرير فائدة. والمعنى أنّه شبيههنّ بالمرجان ليدلّ ذلك على تشبيههنّ بالياقوت الأحمر وهو أحسن أنواع الياقوت.

وقد شبهت العرب النساء في حسنهنّ بالياقوت وسمّتهنّ بإسمه. فقالوا: ياقوتة كما قالوا في تسميتهنّ «لؤلؤة ومرجانة» (البغدادي، ١٩٦٨: ٣٣٠).  
من جهة أخرى فإنّ هذه الأحجار من الأحجار الكريمة؛ لذا يدلّ هذا التشبيه على علوّ مكانتهنّ ومزلتتهنّ في الجنّة ويشمل المعنيين الحسي والمعنوي.

#### ١٠.٤ كواعب

من الصفات الحسية التي وردت في القرآن هي الكواعب (النبأ: ٣٣). والكواعب من كعب الثدي يكعب وكعب بالتخفيف والتشديد أي نهد (إبن منظور، ١٤٠٥: ١ / ٧١٩). يقول عبيد بن أبرص:

وفوق الجِمالِ الناعِجاتِ كواعبُ      مخاميصُ أبكارُ أوانسِ بيضُ

(عبيد بن أبرص، بلاتا: ٨٨)

فهنّ الفتيات الناهدات اللواتي استدارت أثداءهنّ و «هي مناعم ظاهرها حسّي لتقريبها للتصور البشري أما حقيقة مذاقها والمتاع بما فلا يدركها أهل الأرض وهم مقيدون بمدارك الأرض وتصوراتها وإلى حوارها حالة يتذوّقها الضمير ويدركها الشعور» (قطب، ١٩٨٠: ٦ / ٣٨٠٨).

من جهة أخرى نرى أنّ الله تعالى قد قرن هذا الوصف الحسي الذي يدلّ على استواء خلقهنّ وقامتتهنّ بوصف «أتراب». فلو اعتبرنا أنّ صفة «أتراب» تدلّ على تماثل الزوجين وتساويهما عقلاً وفكراً وشعوراً، فهذا التركيب «كواعب أترابا» قد يشبه «خيرات حسان» مع اختلاف في التقديم والتأخير بين الصفات الحسية والروحية.

نستخلص مما جاء أنّ صفات الحور العين تنقسم إلى ثلاثة أقسام، قسم منها يدلّ على أنّها صفات روحية وقسم منها يدلّ على أنّها صفات حسيّة وقسم — وهو أكثر الإقسام استعمالاً — يحتمل النوعين.

الصفات الحسيّة	الصفات المعنوية	ما يحتمل النوعين
عين كواعب حسان	خيرات	حور قاصرات الطرف أتراب فرش مرفوعة كأهن بيض مكنون حور مقصورات في الخيام كأمثال اللؤلؤ المكنون أبكار عُرب كأهنّ الياقوت و المرجان

## ٦. تصوير المرأة في الشعر الجاهلي

احتلت المرأة حيزاً واسعاً من الأدب العربي عامةً والأدب الجاهلي خاصةً. فقد عُني الشعراء بها عنايةً كبيرةً في العصر الجاهلي، فهي مصدر إلهامهم في نوع خاص من الشعر نسمّيه الغزل. فالشاعر الجاهلي يفتتح قصيدته بمخاطبتها ومناجاتها ويقف على ديارها وقفة شوقٍ ويثّثها اشواقه وأحاسيسه. وقد تناول الشاعر جمالها، وأوّل ما لفت نظره جمال وجهها وجمال أعضائها. ووصف الجمال الجسدي هو الأمر العام الطاغي في الغزل، أمّا وصف الحاسن الخلقية والنفسية وتصوير عواطف المرأة وحكاية الحب بين الرجل والمرأة، فيأتي كل ذلك بالمرتبة المتأخّرة عن وصف الأعضاء. فلماذا إهتمّ الشاعر الجاهلي هذا الإهتمام بالمرأة بحيث ملأ أبيات شعره بوصف جمالها الجسدي؟

يجيبنا أحد الكتاب قائلًا: «إنّ في حياة المجتمع الجاهلي، في البوادي والحواضر تقريباً يوشك أن يكون مفهوم الجمال متمثلاً بالمرأة متركّزاً فيها؛ فالجاهلي لا يجد في حياته الضيقة تعبيراً عن حسّ الجمال إلّا في الجمال الأثوي. لم يكن يهزّه — كما يبدو — جمال الطبيعة.

بل كان يحسّه ولكنه كان لا يقنع به وكان يتدوّقه ولكنه كان لا يروي ضمّاه ولم يكن الجمال الخلقى ليعوّض عن جمال الصورة ... إنه كان يمتدح المكارم الخلقية وكان يشيد بها ولكنها كانت تظهر عنده مقترنة دائماً بالمفاتن الجسدية. إنّ المرأة هي جمع بين مظاهر الجمال وصوره فهو لا يشهد غيرها في حياته الرتيبة ... كذلك نرى أن المرأة كانت شيئاً هاماً في حياة البادية، وفي حياة الجاهلي العاطفية والجمالية. إنّ جمال المرأة هو الصورة المثلى للجمال وآته يفوق كل شيءٍ سواه» (شكري، ١٩٦٩: ١٧٨).

أمّا بالنسبة إلى كثرة اهتمامهم بالأوصاف الجسدية — بغضّ النظر عن السمات اللا أخلاقية الإباحية لبعضهم كما مرّ القيس — فنستطيع أن نقول: إنّ الشاعر يهدف أن يُنشد شعراً تتداولها الألسن في مشارق الأرض و مغاربها، والشاعر الجاهلي كان ينشد لنفسه أولاً ولمخاطبيه ثانياً وهو يدرك الذوق الجمالي لمخاطبيه فلذا يبالغ في الإتيان بالصور الحسية لكي يفوز بالقبول العام.

عندما ندّعي أن الأشعار الجاهلية مملّوءة بأوصاف المرأة الحسية لا نقصد أن نعامل الشعراء معاملة واحدة. فنرى بعضهم كأمثال الأعشى، وزهير بن أبي سلمى وعترة قد سلكوا طريقاً يختلف تماماً عن إتجاه أمثال إمري القيس وعمرو بن كلثوم. فهم لم ينسوا الجوانب الخلقية والنفسية فقد ذكروا المرأة بالحياء والعفة والتمنّع ممزوجة بالأوصاف الجسدية ولم يطلبوا في ذلك.

وهناك طائفة أخرى من الشعراء كأمثال سويد بن أبي كاهل الذي لم يصرف كل همّه في وصف محاسن المرأة وأعضائها ولم يتغنّ بفضائلها وأخلاقها ولكن كان يصوّر ما يلقاه العاشق المحبّ من شوقٍ ووجد وهيام. ولكن كما أشرنا بدايةً أنّ وصف الجمال الجسدي هو الأمر العام الطاغى على هذا الغزل فنرى أنّ الشاعر الجاهلي لا يدع عضواً من أعضاء المحبوبة إلاّ أنّه يصفه ويشبهه بشيءٍ لكي يثبت قدرته وتفوّقه في ذلك على إنشاد الأشعار على الآخرين ويعجب المحبوبة ويتمنّع عندها بما يتمنّى. هنا تأتي بعدة أبيات يصوّر لنا الشاعر فيها أوصاف المرأة الجسدية:

أعضاء الجسم	الآيات
الخد	تَصُدُّ وَ تُبَدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَنْقِي بناظرةٍ مِنْ وَحْشٍ وَحِجْرَةٍ مُطْفِلٍ (إمرؤ القيس، ٢٠٠٤: ٤٢) وَوَجِهٍ كَأَنَّ الشَّمْسِ أَلْقَتْ رِدَاءَهَا عليه، نَقِيَّ اللَّوْنِ، لَمْ يَسْتَخْدِدِ (طرفة بن عبد، ١٩٩٧: ٢٤٩)
العين والنظرة	نَظَرْتُ مُقْلَمَةَ شَادِنٍ مُتْرَبِّبٍ أَحْوَى أَحَمَّ الْمُقْلَمَتَيْنِ مُقْلَدٍ (النايعة الذبياني، ١٩١١: ٤٣)
الثغر	وَتَبَسُّمُ عَنِ أَلْمَى كَأَنَّ مُنَوَّرًا تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٌ لَهُ، نَدِ سَقَّتَهُ إِيَّاهُ الشَّمْسُ، إِلَّا لِنَاتِهِ أُسُفٌ، وَلَمْ تَلْدَمْ عَلَيْهِ، يَا ثَمِدِ (طرفة بن عبد، ١٩٩٧: ٩١)
الجيد	وجيدٍ كجيد الريم ليس بفاحشٍ إذا هي نَصَّته ولا بمُعْطَلٍ (إمرؤ القيس، ٢٠٠٤: ٤٣) وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدُ شَادِنٌ مُظَاهِرٌ سَمَطَى لَوْلِيٍّ وَزَبْرَجَدِ (طرفة بن عبد، ١٩٩٧: ٩٠)
الشعر و الغدائر	وَفِرْعَ يَزِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٌ كَقِنَى النَخْلَةِ الْمُتَعَشِّكِلِ غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزَرَاتٌ إِلَى الْعُلَى تَضْرِبُ الْمَدَارِي فِي مَثْنَى وَمَرْسَلِ (إمرؤ القيس، ٢٠٠٤: ٤٣)
الصدر والترائب	مُهْمَهْمَةٌ بِيضَاءُ غَيْرُ مَفَاضِيَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ (المصدر نفسه: ٤٠)
الثدي	وَنَدِيًّا مِثْلَ حُقِّ الْعَاجِ رِخْصًا حَصَانًا مِنْ أَكْفِ اللَّامْسِينَا (عمرو بن كلثوم، ١٩٩٦: ٦٨)
الذراعان	ذِرَاعِي حُرَّةٍ أَدْمَاءَ بَكْرِ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا (المصدر نفسه)
الكف والأصابع	وَتَعَطُّو بِرِخْصٍ غَيْرِ شَشْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيْعُ ظِيٍّ أَوْ مَسَاوِيْكُ إِسْجَلِ (إمرؤ القيس، ٢٠٠٤: ٤٥)

الكشح و الأرداف	ومأكمة يضيق الباب منها وكشحا قد جُننتُ به جُنونا (عمرو بن كلثوم، ١٩٩٦: ٦٩)
الساق	وكشح لطيف كالجديل مُخصَّر وساق كأنبوب السقي المذلل (إمرؤ القيس، ٢٠٠٤: ٤٤)
اللون	كبكر المقاناة البيضاء بصفرة غذاه نمير الماء غير محلل (المصدر نفسه: ٤١)
اشراق الوجه	تُضئ الظلام بالعشاء كأنها منارة مُسمي راهب مُتَيَّل (المصدر نفسه: ٤٦) وجه كأن الشمس ألفت رداءها عليه، نقي اللون، لم يتخذد (طرفه بن عبد، ١٩٩٧: ٢٤٩)

فيلاحظ أن بعض الشعراء الجاهليين قد أسرفوا في وصف جسد المرأة دون أن يذكروا الجوانب الأخلاقية والصفات المعنوية. ولكن إلى جانب هؤلاء الشعراء، شعراء انصرفوا عن وصف المحاسن الجسدية واكتفوا بقليل أو اكتفوا بالتعبير عن حسهم. ومن هؤلاء عنتره الذي نجده قد تجتَب كل ما يُؤدِّي إلى فحش وإسفاف في وصف المحاسن والتغني بها. و اكتفى في معلته بأن يصف طيب رائحة محبوبته وعذب مقبلها:

إذ تستيبك بذي غروب واضح  
عذب مُقبَّلُه لذيذ الطعام  
وكان فارة تاجرٍ بقسيمه  
سبقت عوارضها إليك من الفم

(عنتره بن شداد، بلاتا: ١٨٥-١٨٦)

فترى أن الأعشى يريد أن يذكر أخلاق حبيبته «هريرة» بأنها عفيفة كتوم للسرا لا تفضح أسرار جيرانها وأنها محبوبة إليهم.

ليست كمن يكره الجيران طلعتها  
ولاتراها لسرا الجار تحبيل

(الأعشى، بلاتا: ١٤٩)

ولكنه يأتي بهذا البيت متأخراً عن أبيات يصف فيها وجه هريرة وفمها ومشيتها وحلاوتها وطيب نشرها.

فهذا زهيرٌ مشهورٌ بحكمته، قلما نجده ينشد شعراً يصف فيه مفاتن المرأة الجسدية. وربّما كان له من حكمته ما يعصمه أن يتزلق فيما انزلق فيه الشعراء الآخرون ولكنه — رغم تمتّعه بهذه الحكمة — عندما يصف بعض النسوة نراه يسلك طريق غيره من الشعراء الآخرين:

تنازعها المهّا شبّها ودرّ النـ حور وشاكت فيها الظباء  
فأمّا ما فوق العقد منها فمن أدماء مرتعها الخلاء  
وأما المقتان فمن مهارةٍ وللدرّ الملاحاة والصفاء

(زهير ابن ابي سلمى، ١٩٦٤: ٨-٩)

لكن نجد من بين الشعراء الجاهليين من عني بعفة المرأة وحياءها وأخلاقها دون أن يتعرض لوصف أعضاء جسدها، بل يأتي به مجملاً متأخراً بعد أن يفضل إنشاد الشعر في وصف عفتها وحياءها وأخلاقها ومنهم الشنفرى الذي يصف حبيته أنها حبيبة خجول ذات جمال وأدب كريمة تقدّم لجيرانها وتبرّهم وتحفظ مودتهم وهي شريفة عزيزة عفيفة بعيدة عن الريب، إذا سارت لالتفت بل تنظر أمامها كأنها تبحث عن شئ ضيعته فهي تقصده، وهي إلى جانب عفة نفسها عفيفة اللسان طيبة السمعة. إذا ذكرها الناس حمدوها، وهي زوجة صالحة تسرّ زوجها وتحسن معاشرته؛ لذلك يعود زوجها إليها تائقاً مشتاقاً قريير العين. وهي لا تبرح بيتها في غيابه. فإليك الأبيات:

لقد أعجبتني لا سقوطاً قناعها إذا ما مسّت، ولا بذات تلتفت  
تبيتُ بعيدَ النّومِ تُهدي غبوقها لجارتها إذا الهدية قلت  
تحلُّ بمنجاةٍ من اللّومِ بيّتها إذا ما يئوت بالذمة حلت  
كأن لها في الأرض نسياً تقصُّه على أمها، وإن تكلمت تبلت  
أميمةٌ لا يُخزي ثأها حليلها إذا ذكر النسوان عفت وجات  
إذا هو أمسى أب قرة عينه ماب السعيد لم يسأل أين ظلّت  
فدقت وجلت واسبكرت وأكملت فدقت وجلت واسبكرت وأكملت

(المفضل الضبي، ١٩٩٨: ٦٣-٦٤)

فمن المؤكّد أنّ الشنفرى يقف على الطرف الآخر من موقف الشعراء الإباحيين أمثال امرئ القيس. فهذا ما دفع بعض الكتّاب أن يعتبره أحسن من وقف عند صفات حبيته الخلقية وفتنة متأنيّة (الجبوري، ١٩٨٦: ٢٨٨).

## ٧. المقارنة بين تصاوير «الخور العين» و «المرأة» في الشعر الجاهلي

بعد أن فصلنا القول في الصور وأتينا بنماذج قرآنية وشعرية نقارن بينهما لكي يتضح مدى اختلاف أسلوب القرآن وميزاته، مع أنّه أنزل في عصرٍ كانت أشعار الشعراء تتداول على ألسن الناس، ندرك أنّه ليس من كلام المخلوق وإن كان استخدم بعض الصور التي استعملها الشعراء في أشعارهم.

يعتبر أحد الدارسين هذه الأوصاف نماذج غزلية تدخل في باب النسيب الذي احتكره الشعر العربي (زكي مبارك، بلاتا: ١ / ١٨٠) لكن لا بدّ من أن نتنبّه إلى أنّ القرآن عرض هذه الصور في أسلوب يختلف تماماً عن أسلوبهم. كأنّه يريد أن يُعلّمهم الأسلوب الصحيح عندما يريدون أن يتعرّضوا لموضوع جمال المرأة وحسنها.

أول ما نلمحه في أكثر هذه النماذج الشعرية أنّها «أدبٌ جرى» يتسم بالقدرة على أن يصف كثرة كثيرة من أعضاء الجسم (شكري، ١٩٦٩: ١٧٣). فالشاعر لا يستحي أن يصف أعضاء الجسم — المكشوفة منها والمستورة — بحيث نرى أنّ بعضهم كأمثال امرئ القيس وعمرو بن كلثوم يصفان في معلقتهما المشهورتين نوعيّة تمتعهما بالمرأة، وكأنّ هذا الوصف يُحسب فخراً لهما و يرفع من شأنهما في مجتمعهما آنذاك.

فعمرو بن كلثوم كان أكثر تكشفاً وصراحةً حين وصف حبيته وقد كشفت عن مفاتن جسمها، وهو يصورها وقد تعرّثت على خلاء وأمنت عيون الناس، ويصف أعضائها وصف من قد رآها.

فقد رأى الشاعر منها ذراعين ممتلئتين كذراعي ناقة بكر طويلة العنق سمينة بيضاء لم تحبل ولم تلد، وثدياً مثل حُقّ العاج أبيض مستديراً مصوناً لم يمسه أحد. ومتنى قامّة



طويلة لينة وأردافاً مكتترة ثقيلة و وركاً عظيماً ممتلئاً و كشحاً جميلاً جنّ من حسنه،  
وساقين كاسطوانتين من عاجٍ أو رخام أبيض فيها الخلاخيل لها خشخشة ورنين  
(عمرو بن كلثوم، ١٩٩٦ : ٦٨ - ٦٩).

ولاشكّ أنّ من إحدى الدلائل التي ذمّ الإسلام الشعراء لأجلها، هي هذه الميزة التي  
سيطرت على أكثر أشعار الشعراء الجاهليين.

فلننظر القرآن وهو يصف الحور العين، أنظر أيّ أسلوب سلك دون أن يتأبك ذلك  
الإحساس الذي يُثير فيك هذه الأبيات. فهل يتكلم عن شعرها وكشحها وساقها ومنتها  
وعنقها و...؟!

يقول «كواعب» وهي صفة تدلّ على أهنّ صبايا، دون أن يأتي بها في صورة التشبيه  
الحسوس، و هذه الكلمة تُؤدّي المعنى المراد. ثم يعقبها بصفة «أتراب» لكي يجمع بين  
الجمال الحسّي والمعنوي.

ويدعي عمرو بن كلثوم أنّ ثدى محبوبته حصان من أكفّ اللامسين. هل هو يريد أن  
يبين عفة محبوبته وإذا قصد هذا الأمر لماذا وصفها وصفاً يخالف الحياء والعفة؟!

كما أنّ إمريّ القيس يصف محبوبته بأنها «بيضة خدرٍ لأيرام خباؤها» هل يقصد أن يقول  
أنها عفيفة ليست بطوّافة في الطرق ولا تعرض جمالها على الآخرين؟ فكيف هذا وامرؤ القيس  
قد فاجأها! أم هو يريد أن يبين لنا شجاعته وقدرته على التمتع بمؤلاء النساء الناعمات  
اللاتي يخاف الآخرون أن ينظروا إليهنّ مباشرة، فكيف بالنسبة إلى الحصول عليهنّ؟

من السمات الأخرى التي يتسم الغزل الجاهلي بما أنّه غزلٌ صريحٌ في أوصافه وحديثه عن  
المرأة وفي عرضه لمفاتها الجسدية. «فهؤلاء الشعراء لم يحاولوا أن يعبروا عن شيء من هذه  
الحاسن تعبيراً مقتصداً فيه بعض الإستحياء أو بعض الرمز» (شكري، ١٩٦٩ : ١٧٣). فهم  
لا يجدون في ذلك حرجاً إذ أنّ بعض الدارسين أرادوا أن يستدلّوا بأدلة تبرّر لنا هذه الصراحة  
والوضوح في الغزل. فمنهم من يقول: «لعلّ ذلك لطبيعة حياتهم البسيطة الصريحة الواضحة  
التي لاتعرف المواربة والتغطية والحياء الكاذب المصنوع» (الجبوري، ١٩٨٦ : ٢٨).

لو كان الأمر هكذا لماذا نجد بعض الإستحياء أو استخدام الرمز في الكلام عن المحبوبة عند بعض هؤلاء الشعراء كأمثال زهير، عنتر، الشنفرى و... مع أنهم كانوا يعيشون في بيئة واحدة وفي عصرٍ واحدٍ.

أما بالنسبة إلى الصور القرآنية فنرى أنها تلتزم الحياء بشكل واضح، ولم لا يكون كذلك؟ وهو كتابٌ أنزل ليشرح الناس — من الرجال والنساء — بالتمسك بالحياء. فعلياً أن لا نتوقع أن يتكلم القرآن عن الحور العين بوضوحٍ كامل بل هو يتحدث عنها بالإجمال ويورد من الصفات ما يدل على عفتها وحياءها.

من جهة أخرى يجب ألا ننسى أن القرآن يريد أن يصف لنا امرأة لا تعيش في هذه الحياة الدنيا، بل هي جزاء لمن يتقي الله في الحياة الأخرى. هو كتابٌ أنزل لهداية جميع الناس بمختلف مستوى عقولهم و طموحاتهم فإذا لا بد له أن يشير إلى بعض الأوصاف الجسمانية لكي يحرض الجميع على طاعة الله سبحانه وتعالى ويعددهم بما يتمنون أن يتمتعوا به في تلك الحياة.

من جهةٍ أخرى أشرنا فيما سبق أننا لن نجد في القرآن آيةً تتكلم عن جمال رجل بصراحةٍ فكيف بالنسبة إلى النساء؟! فالقرآن قد أكرم المرأة التي تعيش بين الناس إكراماً حقيقياً فلم يذكر أسماءهن، لكن الشعراء كانوا يصرحون بأسماءهن فيعرفوهن ويشهروهن كما أن الشاعر الجاهلي لا يلتزم بالحياء ولا يلجأ إلى نوعٍ من الرمز في توصيفاته. فهو فوق ذلك يتجانب عن الإيجاز ويتجنبه ويطيل الوصف ويمد أطرافه وفي الحقيقة يفصل القول فيما لم يكن من شأنه أن يفصل فيه وأطال فيما لا يطيلون في مثله فهو «أدبٌ مفصلٌ أو مطولٌ» (شكري، ١٩٦٩: ١٧٧).

لعل امرئ القيس كان مثلاً واضحاً لهذا التفصيل والتشهير بالمعشوقة في شعره. فقد وصف امرؤ القيس كل ما شاهد من حبيته أو لمس، ولا يدع عضواً من أعضائها إلا وصفه. فهي لطيفة الكشح، مملوءة الساقين، ضامرة البطن، بيضاء صافية اللون، صدرها صقيل متألئ كالمرأة، أسيلة الخدين، واسعة العينين، طويلة العنق قد زينته بالحلي، شعرها طويل مسترسل على ظهرها أسود فاحم مجمد قد عقصت جدائل منه فوق رأسها فهو

كثيراً منه المعقوص ومنه المرسل، وخصرها لطيف، وساقها رائق صاف كأنبوب اليردي، وهي مترفة مخدومة تنام الضحى، طيبة الرائحة، وترفها هذا جعلها ناعمة الأصابع رقيقة البنان، أمّا وجهها فصيح وضّاء يغلب نوره ظلام الليل، وهي طويلة القدّ مديدة القامة لم تدرك الحلم وإن جاوزت سن الجوّاري.

فالظاهرة التي تلفت نظرنا في صياغة هذه الآيات أنها قائمة على التشبيه. إنّ التشبيه يلعب دوراً هاماً في عرضها وفي صياغتها. فنحن حين نقرأ هذه الآيات نجد أنّ الشاعر كأنما ألزم نفسه أن يعمد — كلّما ملح مظهراً من مظاهر الحسن — إلى تشبيه من التشابه. ينقل فيه لقارئه إعجابه وتمثله له. فالترائب كالسجنجل والجيد كجيد الريم والفرع كقنو النخلة والكشح كالجديل والساق كالأنبوب المذلل والأنامل كأساريع الظبي والوجه المشرق كأنه منارة ممسي راهب. هذا هو الفرق بين الشعر والنثر القرآني الذي يهدف إلى وصف الجمال.

لكنّ الصور القرآنية لا تتّصف بهذا التفصيل؛ لأنّ الآيات التي تختصّ بهذه الصور كلّها لا تتجاوز ١٥ آية، كما أنّ بعضها كلمتان وبعضها مكرّرة كـ «قاصرات الطرف»، «لم يطمئننّ إنسٌ قبلهم ولا جانّ» فأكثر الصور — كما شاهدنا — تخلو من التشبيه. أمّا التصاویر التي فيها التشبيه فهي «كأنهنّ الياقوت والمرجان»، «كأمثال اللؤلؤ المكنون» و «كأنهنّ بيض مكنون». فأكثر هذه الصفات تدلّ على حيائها وعفتها وصورها وسترها؛ إذ أنّ المقام يتطلّب أن يذكر القرآن بعض الصفات الجسمانية فهنّ «كواعب»، «حسان»، «كأنهنّ الياقوت والمرجان» فلا بدّ أن يكلمّ الناس بحيث أن يدركوا ما لا يدرك.

إنّ القرآن استخدم التشبيهات التي كانت في متناول جميع الشعراء، لكنّه أكّد على صفة «المكنون» وجعلها في سياق يدلّ على جمالها وكمالها معاً. من جهة أخرى لم يسرف في استعمال هذه التشبيهات، فهذه التشبيهات لا تتجاوز ثلاثة تشابه.

كما نلاحظ أنّ الشاعر قد يصف محبوبته بصورة مفصّلة بحيث لو عرضنا هذه الآيات على رسّام حاذق لتمكّن من أن يرسم بريشته هذه المحبوبة بشكل دقيق يطابق الصورة التي صورّ الشاعر بكلماته. لكن بالنسبة إلى الحور العين ليس الأمر هكذا. فأننا ندرك من الآيات أنّهنّ في غاية الجمال وذروته ولكن تعجز ريشة الرسّام عن رسم هذا الجمال.

وهذا يرجع إلى أن الشاعر الجاهلي يتفنن في استخدام التشبيهات ولكن الصور القرآنية تدلّ على جمالهنّ بإجمال.

من جهة أخرى أن الشاعر الجاهلي لا يدع لخيال القارئ مجالاً لكي يصوّر المحبوبة على شكل يتمنّى أن يراها. وكأنّه يغلق الأبواب كلّها أمام خياله ويضطرّه أن يتصوّر ما يريد الشاعر أن يتصوّره. وهذا ما لا نجد في تصوير الحور العين في القرآن الكريم، بحيث أنّ كل شخص يمكنه أن يصوّرهنّ في خياله كيفما يشاء.

ومن جهة إذا كان التراث العربي يصف المرأة ويبالغ في تفاصيل جسدها مبالغة مثيرة و يتكرّر المسميات لكل عضو من أعضاء جسدها فإن امرأة الوعد السماوي لا بدّ أن تكون أبعد عن الخيال من أن توصف (الحجاج، ٢٠٠٢: ١٤٣-١٤٤).

المسألة التي تلفت أنظارنا هي أنّ القرآن لم يصف الحور العين وصفاً مباشراً مستقلاً، بل نجده عندما يتكلّم عن الجنة يصف لنا الحور العين من خلال توصيفات الأنهار والأشجار والفواكه والعيون وأنواع الأشربة والأطعمة، فهنّ جزء من النعم الأخروية. فكما خاطب أبانا آدم (ع): «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ» (البقرة: ٣٥). كما يخاطب بني آدم: «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ» (الزخرف: ٧٠).

لكنّ الشعراء الجاهليين لم يتحدثوا عن مفاتن أحبّتهم حديثاً عارضاً، بل يتحدثون عنه قاصدين ويتجهون إليه عامدين ويفردون له من قصائدهم حيزاً خاصاً حتى أضحي هذا القسم جزءاً من بناء القصيدة ليس لهم أن يتجاوزوه أو يهملوه؛ فهو إذاً «غزلٌ مباشرٌ مقصودٌ» (شكري، ١٩٦٩: ١٧٦).

ختاماً لهذا البحث يجب أن نشير إلى الطابع الذي يتصف به تصوير الحور العين وهو الطابع الأخلاقي. وهذا الطابع يتجلّى من خلال هذه الأوصاف «قاصرات الطرف»، «خيرات حسان»، «مقصورات في الخيام» وكلمة «المكنون» وعن طريق تكرار هذه الصفات نرى أنّ القرآن يشدّد على هذا الطابع الأخلاقي الذي لم نكد نراه في الشعر الجاهلي.

إنّ ما ينبغي لفت الإنتباه إليه هو أنّ الفارق بين بيئة الحياة الدنيا والبيئة الأخروية هو انتفاء

عنصر «الصراع» في التربية البشرية، بمعنى أنّ عملية الإشباع الحيوي والنفسي لا يسبقها صراعٌ بين الخير والشرّ، بين الشهوة والعقل. بل تتمّ وفق نزوع أحادي الجانب يتّجه إلى تحقيق الإشباع للحاجات النفسية والحيوية بشكله الخير أو العقلي البحت. فالعلاقات الاجتماعية مثلاً يسودها - في بيئة الجنة - تفاهم تام غير مسبوق بعمليات التأجيل لشهوة الحقد أو الكبر (البستاني، ١٤٢٤: ٤ / ٢٤٦).

إذا كان الأمر كذلك فلماذا نجد القصة القرآنية الكريمة تخلع على «الخور» سمة كونهنّ «قاصرات الطرف» و كونهنّ «مقصورات في الخيام» و كونهنّ «خيرات»؟! فنحن نجد مشابهاً بين هذه الآيات وبين الآيات والروايات التي تؤكد على «غضب البصر» و «ملازمة المرأة لبيتها وعدم خروجها عنه إلاّ للحاجة» أو «نوعية علاقتها مع الرجال في المجتمع»، فنستطيع أن نستنبط من هذه الأوصاف المعايير المهمة كالعفة والحياء والأخلاق الحسنة التي يجب أن تلتزم بها الزوجة في حياتها الزوجية. فيبدو أنّ وراء هذه الأوصاف تكمن معان سامية تضمن سلامة الحياة الزوجية ودوامها. ويريد القرآن أن يلفت أنظارنا إلى سلوكنا الدنيوي خاصة فيما يتّصل بالمرأة والطريقة التي ينبغي لها أن تلتزمها في تعاملها مع الآخرين.

## ٨. النتيجة

يتّضح لنا من خلال مقارنة تصوير المرأة المثالية في القرآن والشعر الجاهلي:

- أن القرآن لا يتطرق إلى وصف الخور العين مباشرة بل يصفهنّ في آيات قصيرة عندما يذكر لنا صفات الجنة و نعمها لكن الشاعر الجاهلي يخصص أبياتاً كثيرة من شعره لهذا المجال.
- أن وصف القرآن للخور العين لا يعتمد كثيراً على التشبيه و الإستعارة خلافاً لما جاء في الشعر الجاهلي.
- أن القرآن لا يتطرق إلى التفاصيل بل يستخدم صوراً مجملة و لا يمسّ كرامة المرأة بل يثبتها ولكن الشعر الجاهلي يبالغ في ذكر تفاصيل جسدها.

- أن القرآن يجمع بين الصفات الحسية والروحية في أكثر الصور ورأينا أنه لا يعمد إلى الوصف الحسي لنساء الدنيا ولا يذكر أسماءهنّ إلّا في موضع واحد تختلف قصتها عن سائر القصص.

- ليس وصف المرأة المثالية في القرآن هدفاً بحد ذاته، بل من خلال كل صورة يثبت لنا أنّ للمرأة شأنًا خاصاً مكانة سامية.

- فضلاً عن ذلك كله، توجد وراء هذه الصفات معانٍ سامية لا تختص بالآخرة بل يجب على المرأة الإلتزام بها في هذه الدنيا، إذا تريد حفظ كرامتها وعلوّ شأنها. فهذه الصفات نموذج مثاليّ لنا في حياتنا الزوجية يضمن سلامتها و دوامها وهذا ما لا نجده في الأشعار الجاهلية.

- و أخيراً فهناك بونٌ شاسعٌ بين كلام الخالق والمخلوق في وصف المرأة المثالية.

## المصادر

القرآن الكريم.

إبن منظور (١٤٠٥). لسان العرب، بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو الفداء، إسماعيل بن كثير (١٩٨٩). صفة الجنة وما فيها من النعيم المقيم، بيروت: دار إبن كثير.

الأعشى (بلاتا). ديوان الأعشى، تحقيق كامل سليمان، لبنان: دار الكتاب اللبناني.

إمرؤ القيس (٢٠٠٤). ديوان إمرؤ القيس، شرح عبد الرحمن المصطاوي، بيروت: دار المعرفة.

البستاني، محمود (١٤٢٤). التفسير البنائي للقرآن الكريم، مشهد المقدسة: مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية المقدسة.

البغدادي، إبن نايقا (١٩٦٨). الجمان في تشبيهات القرآن، الكويت: المطبعة العصرية.

بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن (١٩٨٤). الإعجاز البياني للقرآن، مصر: دار المعارف.

التبريزي، الخطيب (١٩٨٠). شرح القصائد العشر، تحقيق الدكتور فخر الدين قيادة، بيروت: دار الآفاق الجديدة.

الجبوري، يحيى (١٩٨٦). الشعر الجاهلي خصائصه و فنونه، بيروت: مؤسسة الرسالة.

جمع من الكتاب (١٣٧٧). تفسير نمونه، طهران: دار الكتب الإسلامية.

- الحجاج، كاظم (٢٠٠٢). *المرأة والجنس ... بين الأساطير والأديان*، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.
- دستغيب، عبدالحسين (١٣٦٠). *الدار الآخرة تفسير سورة الواقعة*، تهران: فقيه.
- الذبياني، النابغة (١٩١١). *ديوان النابغة الذبياني*، مصر: مطبعة الهلال.
- الرازي، أبو الفتوح (١٣٧٨). *روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن*، تصحيح محمدجعفر ياحقي، محمد مهدي ناصح، مشهد المقدسة: مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية المقدسة.
- زكي مبارك، محمد (بالاتا). *النثر الفني في القرن الرابع*، بيروت: منشورات المكتبة المصرية.
- الزنجشيري، محمود بن عمر (بالاتا). *الكشاف*، بيروت: دار الفكر.
- زهير بن أبي سلمي (١٩٦٤). *ديوان زهير*، بيروت: دار صادر، دار بيروت.
- الزوزني، الحسين بن أحمد بن الحسين (بالاتا). *شرح المعلمات*، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- سبزواري، محمد (١٩٨٥). *الجديد في تفسير القرآن المجيد*، بيروت: دار التعارف.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن أبو بكر (١٩٩٠). *الدر المنثور في التفسير المأثور*، بيروت: دار الكتب العلمية.
- شكري، فيصل (١٩٦٩). *تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام*، بيروت: دار العلم للملايين.
- الضبي، المفضل محمد بن يعلى بن عامر (١٩٩٨). *المفضليات*، بيروت: دار مكتبة الهلال.
- الطباطباتي، محمدحسين (١٣٧٢). *الميزان في تفسير القرآن*، طهران: دار الكتب الإسلامية.
- الطبرسي، أبوعلی لفضل بن الحسن (١٩٨٦). *مجمع البيان في تفسير القرآن*، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- طرفة بن العبد (١٩٩٧). *ديوان طرفة بن العبد*، تحقيق سعدي الضناوي، بيروت: دار الكتاب العربي.
- عبد الجليل يوسف، حسني (١٩٩٨). *عالم المرأة في الشعر الجاهلي*، القاهرة: الدار الثقافية للنشر.
- عبد، محمد (١٩٨٩). *تفسير القرآن الكريم جزء عم*، بيروت: دار ابن زيدون.
- عبيد بن الأبرص (بالاتا). *ديوان عبيد الأبرص*، بيروت: دار صادر.
- عمرو بن كلثوم (١٩٩٦). *ديوان عمرو بن كلثوم*، تحقيق الدكتور إميل بدیع يعقوب، بيروت: دار الكتاب العربي.
- عنتر بن شداد (بالاتا). *ديوان عنتر*، تحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، لبنان: دار مكتبة الحياة.
- الغرناطي، أبو حيان (١٩٩٠). *التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط*، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الفراء (بالاتا). *معاني القرآن*، طهران: ناصر خسرو.
- قطب، سيد (١٩٨٠). *في ظلال القرآن*، القاهرة: دار الشرق.

٩٦ المرأة المثالية في القرآن الكريم؛ دراسة مقارنة مع الشعر الجاهلي

قطب، سيد (٢٠٠٢). التصوير الفني للقرآن، القاهرة: دار الشرق.

لبيد بن ربيعة العامري (١٩٦٢). ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق إحسان عباس، الكويت: التراث العربي وزارة الإرشاد والأنباء.

مجدي، أبو مریم (١٩٩٠). مطالع البدور مع منازل السرور، طنطا: دار الصحابة للتراث.